الوفاق
عبير شمص

لطالما سعت الجامعات الأميركية إلى تقديم نفسها كنموذج عالمي للحرية الأكاديمية والتعددية الفكرية، لكن مع اشتداد الحرب الإسرائيلية على غزة منذ أكتوبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٣، بدأت هذه الصورة تهتز، مع تسجيل موجة من الإجراءات العقابية والقيود المفروضة على الطلاب والناشطين المتضامنين مع الشعب الفلسطيني.
وفي هذا الصدد حاورت صحيفة الوفاق الخبير التربوي والسياسي اللبناني الدكتور ماجد جابر لرصد أبعاد هذا التحوّل، وقراءة ما يكشفه من مفارقات بنيوية في صلب المؤسسة الأكاديمية الأميركية، وفيما يلي نص الحوار:

خبير تربوي سياسي لبناني للوفاق:

الحراك الطلابي في أمريكا يكشف زيف الخطاب الليبرالي الأميركي

انكشاف حقيقة الخطاب الليبرالي الأميركي

يؤكّد الدكتور جابر أن ما جرى منذ اندلاع الحرب على غزة في أكتوبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٣ لم يكن مجرد تحوّل جذري في مواقف الجامعات الأميركية من حرية التعبير، بل كان كشفًا صارخًا لما خُبّئ طويلًا خلف الخطاب الليبرالي الأميركي وهو حقيقة أن هذه المؤسسات، التي ادّعت لسنوات أنها حصون للحرية والتعدد، ليست محصّنة من الاصطفاف السياسي حين تُختبر في القضايا الأكثر حساسية.
الضغوط السياسية المباشرة، مثل تعليق الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لمنح دراسية بقيمة ٤٠٠ مليون دولار في تمويل جامعة كولومبيا، تترافق مع ضغوط مانحين نافذين في جامعات مثل هارفارد، ما كشف هشاشة استقلال الجامعات أمام النفوذ السياسي والمالي. أضف إلى ذلك التوسّع في استخدام تهمة "معاداة السامية" كذريعة قانونية لتجريم الأصوات المؤيدة لفلسطين، والاستقطاب الإعلامي الذي صوّر الاحتجاجات الطلابية كتحريض أو دعم للإرهاب.

في المحصّلة، ما حدث لم يكن انحرافًا مؤقتًا، بل انكشاف لبنية سلطوية ناعمة كانت كامنة تحت ستار الحرية الأكاديمية، وظهرت على حقيقتها حين أصبح التضامن مع فلسطين اختبارًا أخلاقيًا فعليًا.

حدود التعبير المقنعة

يشير الدكتور جابر أن الجامعات الأميركية، رغم خطابها المعلن عن التعددية والانفتاح، ترسم خطوطًا حمراء غير معلنة، تتّضح بجلاء عندما يتعلّق الأمر بالقضية الفلسطينية. هذه الحدود لا تُعبَّر عنها بالقوانين، بل تُمارَس عبر أدوات ضبط ناعمة وفعالة منها استدعاءات تأديبية، تعليق أنشطة طلابية، تضييق على الفعاليات، وتحذيرات غير مباشرة للأساتذة.
مجموعات مثل Students for Justice in Palestine و Jewish Voice for Peace تم تعليقها في أكثر من جامعة، لا لأنها خرقت القوانين، بل لأنها عبّرت عن موقف سياسي "غير مرغوب فيه".
هذا يُظهر أن الحرية في هذه المؤسسات ليست مطلقة بل مشروطة، وأن الجامعات –حين يتعلّق الأمر بفلسطين– لا تتسامح مع التعدد، بل تُفعّل آليات رقابة تُقصي كل ما لا ينسجم مع السردية المهيمنة.

سلطوية أكاديمية ناعمة

يشرح الدكتور جابر أن القمع الذي طال الطلاب المؤيدين لفلسطين لم يبقَ حدثًا معزولًا، بل خلّف أثرًا عميقًا في المناخ الأكاديمي العام، إذ أُعيد تعريف حدود المسموح والممنوع داخل الحرم الجامعي. ونشأت رقابة ناعمة لكنها فعّالة، تقوم على التخويف غير المعلن، ودفع الطلاب والأساتذة إلى ممارسة الرقابة الذاتية، خشية العقاب أو الوصم أو الإقصاء المهني، وما حدث في كولومبيا وهارفارد وميشيغان من اعتقالات وتعليق أنشطة، أرسل رسالة واضحة أنه ليس كل تضامن مقبول، ولا كل رأي مسموح. وهكذا، تحوّلت الجامعة من مساحة نقد إلى بيئة يتحرك فيها الفكر بحذر شديد، وتحت مراقبة غير مرئية لكنها حاضرة في كل قرار وسؤال وموقف.
وكذلك يرى الدكتور جابر أن ما يحدث اليوم هو تجلٍ لسلطوية أكاديمية ناعمة، تُمارَس باسم الحياد والنظام. إنها سلطوية لا تُعلن عن نفسها، لكنها تُعيد تشكيل الحدود، وتُعاقب من يتخطّاها، وتُربّي طلابًا على الصمت لا على النقد. النتيجة تكون تراجع جسور النقد، وتكريس ثقافة الخوف، وخلق جيل أكاديمي "يتعلّم الصمت" حين تتطلب الأخلاق الكلام.

فلسطين كاختبار لحدود الحرية

يعتبر الدكتور جابر أن القضية الفلسطينية ليست فقط قضية سياسية، بل مرآة تكشف حدود الخطاب الليبرالي الأميركي حين يُختبَر بجدية. الجامعات التي تتفاعل بحرية مع قضايا أوكرانيا والمناخ والعدالة العرقية، تتحول فجأة إلى مؤسسات حذرة، صامتة، أو حتى قمعية، عندما تُطرَح فلسطين على الطاولة. السبب؟ تركيب معقّد بين التحالف السياسي العميق مع الكيان الصهيوني، وضغوط لوبيات مؤثرة، وخوف إداري من الاتهام بمعاداة السامية، إلى جانب رواية إعلامية مهيمنة تُجرّم التضامن مع الفلسطينيين وتربطه بالإرهاب أو التطرف.
هكذا تصبح فلسطين "تابو أكاديميًا"؛ لا لأنها قضية متطرفة، بل لأنها تزعج البنية السياسية العميقة التي تصوغ حدود ما يمكن التفكير فيه بحرية داخل الجامعة.

الانحياز البنيوي للرواية الصهيونية

يوضح الدكتور جابر أن الإنحياز البنيوي ليس صدفة، بل نتيجة هندسة معرفية وتمويلية وثقافية طويلة الأمد داخل الجامعات الأميركية. فالرواية الإسرائيلية ليست فقط مقبولة، بل تُعامل كإطار مرجعي "محايد"، بينما تُحاصر الرواية الفلسطينية وتُجرد من شرعيتها.
السبب يكمن في التحكم بالتمويل البحثي، وبنية البرامج الأكاديمية، وخطاب النشر والمراجعة العلمية، إلى جانب الخوف من الملاحقة الإعلامية والسياسية لأي أكاديمي يتجاوز السردية المألوفة.
حين يصبح الدفاع عن حقوق الإنسان في غزة مخاطرة مهنية، بينما يُعتبر الدفاع عن "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها" موقفًا بديهيًا، فنحن أمام انحياز مؤسساتي صلب لا يَظهر فقط في الموقف، بل في البنية التي تنتج الموقف وتعيد إنتاجه باستمرار.

تمييز مؤسسي مقنّع

يُلفت الدكتور جابر إلى أن ما نشهده اليوم ليس مجرد تمييز فردي، بل تمييز أكاديمي ممنهج، يُمارَس عبر سياسات تأديبية وانتقائية صريحة. فبينما يُتاح لطلاب كثر التعبير بحرية عن قضايا مختلفة، يُعامل التضامن مع فلسطين كمخالفة، ويُقابل بالعقوبة والطرد والتجميد وسحب التمويل.
حتى المسارات الأكاديمية تتأثر؛ طلاب يُحرَمون من الإشراف، أبحاث تُرفض، وأسئلة تُمنع من أن تُطرح. إنها سطوة ناعمة تُعيد رسم حدود الشرعية الفكرية داخل الجامعة، وتُقصي الرواية الفلسطينية لا عبر الحوار، بل عبر الإقصاء المؤسسي.
إنه تمييز لا يُعلن، لكنه يُمارَس على كل من يجرؤ على تسمية الاحتلال باسمه، أو يضع "العدالة للفلسطينيين" في عنوان ندوة أو ورقة بحث.

خيانة الدور الأخلاقي للجامعة

يؤكد الدكتور جابر أن الجامعة ليست مجرد منتج للمعرفة، بل حارس للضمير الإنساني، خاصةً في لحظات تتعرّى فيها المأساة، كما يحدث اليوم في غزة. كان يُفترض أن تكون الجامعات الأميركية في طليعة من يرفع الصوت دفاعًا عن حقوق الإنسان، لكنها، في معظمها، تراجعت إلى موقع المتفرج الحذر أو الحارس الأمني.
السكوت، حين يُذبح آلاف المدنيين، ليس حيادًا، بل انحياز سلبي يخون الوظيفة الأخلاقية للجامعة. واللافت أن هذا التخاذل لم يكن بدافع الخوف وحده، بل نتيجة حسابات تمويلية وسياسية طغت على المبادئ، وجعلت الجامعة تفضّل السلامة المؤسساتية على الموقف الأخلاقي. الجامعة التي لا تقف في وجه الظلم، تسقط في أول اختبار أخلاقي، وتتحوّل من منارة فكر إلى جدار صامت من الخذلان.

تصدّع الصورة العالمية

يلاحظ الدكتور جابر أن الصورة التي كانت الجامعات الأميركية تروّجها كرمز للحرية والانفتاح بدأت تتصدّع في أعين العالم، وخصوصًا في دول الجنوب. كيف يمكن لمؤسسة تُعلّم حقوق الإنسان أن تكمم صوتًا يتضامن مع ضحايا القصف؟
الازدواجية في التعامل مع فلسطين بالمقارنة مع قضايا أخرى، كشّفت أن الحرية الأكاديمية في هذه الجامعات مشروطة بالانسجام مع السياسة الأميركية، لا بالقيم الكونية.
وهذا ما يُضعف جاذبيتها الأخلاقية، ويدفع طلابًا وأكاديميين حول العالم لإعادة النظر في نموذجها، بل وفي جدوى الانخراط فيه. فحين تسقط الجامعة في اختبار العدالة، تفقد قدرتها على ادّعاء القيادة الفكرية عالميًا.

التضييق على الحراك الجامعي لم يكن انحرافًا مؤقتًا، بل انكشاف لبنية سلطوية ناعمة كانت كامنة تحت ستار الحرية الأكاديمية، وظهرت على حقيقتها حين أصبح التضامن مع فلسطين اختبارًا أخلاقيًا فعليًا

الهجمات الصهيونية على غزة خلال شهر رمضان وأسبابها

الوفاق
د. حسن بشير*

في الوقت الذي كان يقترب فيه شهر رمضان المبارك من نهايته، أعلنت بعض الدول عن يوم عيد الفطر. في هذا الشهر، شهدنا العديد من التطورات المتعلقة بغزة في ظل ظروف كان سكانها يسعون لقضاء الشهر في سلام. نحاول، هنا، تحليل الأسباب الجوهرية لهجمات الكيان الصهيوني على غزة في هذا الشهر المبارك.
الهجمات الصهيونية على غزة في شهر رمضان، مثل جميع العمليات العسكرية الأخيرة في الأراضي المحتلة، لها جذور في عوامل سياسية وأمنية وتاريخية معقدة. يجب التركيز على النقاط التالية:

١. الخلفيات التاريخية والأمنية

- **الصراع التاريخي:** يعود الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، خاصةً مع فصائل المقاومة، إلى عقود ولا يُعتبر إجراءً جديداً. ظلت غزة، كقاعدة رئيسية لجماعات مثل حماس، في قلب التوترات. تعتبر "إسرائيل" قطاع غزة تهديداً أمنياً دائماً، وتستخدم الهجمات الصاروخية المتفرقة من الفصائل الفلسطينية كذريعة "قانونية" لشن عمليات عسكرية أوسع تحت مسمى ما يقوله الصهاينة: "الدفاع عن النفس".
- **تصعيد الاعتداءات الصهيونية في شهر رمضان:** بالنسبة للفلسطينيين، يعد شهر رمضان رمزاً للمقاومة والتضامن. ونظراً لهذه الخاصية المهمة للشعب الفلسطيني، وخاصة شعب غزة، فإن الكيان الصهيوني يحاول ليس فقط منع تجمعاتهم الإحتجاجية، بل يمنع الصلاة الجماعية في المسجد الأقصى، خوفا من الأعمال المحتملة التي قد تقوم بها الجماعات الفلسطينية ضدهم من خلال الهجمات المختلفة وعمليات المضايقة.

٢. الأهداف السياسية الداخلية لـ "إسرائيل"

- **أجندة نتنياهو لتضليل الرأي العام العالمي:** يتعرض رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو لضغوط من الرأي العام ليس فقط داخل "إسرائيل" بل وأيضاً على الصعيد العالمي بسبب الفساد والجرائم المختلفة. ومن ثم، فمن الواضح أن تصعيد العمليات العسكرية في غزة قد يكون محاولة لتحويل الرأي العام المحلي والخارجي وتعزيز مكانته باعتباره "حامي أمن إسرائيل".
- **ضغوط اليمين المتطرف:** بعض الشخصيات والأحزاب، خاصةً الأحزاب اليمينية المتطرفة في حكومة الاحتلال، يطالبون بقوة باتخاذ إجراءات أكثر صرامة ضد الفلسطينيين، وخاصةً شعب غزة المقاوم. وغالباً ما تلجأ هذه الشخصيات والأحزاب إلى العمليات العسكرية القمعية لتعزيز قواعدها الانتخابية، وخاصةً في التطورات المستقبلية.

٣. العوامل الأمنية والاستراتيجية

- **تدمير البنية التحتية:** إن قطع المياه ومنع دخول الغذاء وتقييد المساعدات الإنسانية الدولية، ومؤخراً انقطاع الكهرباء على نطاق واسع في قطاع غزة، هو جزء من الاستراتيجية العسكرية الصهيونية لإضعاف قوة الشعب وحكومة حماس في غزة وتقليص قدراتها العسكرية ضد "إسرائيل". وتبرر "إسرائيل" هذه الإجراءات بحجة منع نقل المرافق المختلفة إلى مجموعات المقاومة.
- **مواجهة العمليات الفلسطينية:** تزعم حكومة الاحتلال أن الهجمات على غزة هي رد مناسب وضروري على إطلاق الصواريخ أو العمليات الفردية التي تقوم بها حماس. ومع ذلك، فإن الطبيعة اللاإنسانية وغير المتناسبة لهذه الهجمات (نظراً للخسائر الكبيرة في صفوف المدنيين في غزة) كانت دائماً موضع انتقادات خطيرة من جانب المجتمع الدولي.

٤. الأبعاد الإنسانية وانتهاكات حقوق الإنسان

- **الكارثة الإنسانية:** انقطاع المياه والكهرباء في شهر رمضان المبارك، وهو وقت الصيام الذي يضع الناس في حاجة مضاعفة للموارد الغذائية، يؤدي إلى تفاقم الأزمة العامة في غزة. وتشير تقارير الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان، والاحتجاجات العالمية الواسعة النطاق، إلى أن الحرمان من الضروريات الأساسية للحياة (مثل مياه الشرب) يشكل انتهاكاً واضحاً للقانون الدولي.
- **العقاب الجماعي لشعب غزة:** يحاول الكيان الصهيوني في كل أعماله العسكرية واللاإنسانية إجبار شعب غزة وفصائل المقاومة على التراجع والتخلي عن أي نضال والقبول الكامل بالواقع الصهيوني عبر تقييد وصول المساعدات الإنسانية لشعب غزة وتدمير البنية التحتية لتلك المنطقة كوسيلة للضغط على السكان المدنيين بأكملهم. وقد اعتبرت كافة المنظمات الدولية والأحرار في العالم هذه الخطوة غير إنسانية وغير أخلاقية.

٥. ردود الفعل الدولية

- **صمت الحكومات الغربية:** على الرغم من أن بعض الدول الغربية، مثل بريطانيا وبعض أعضاء الاتحاد الأوروبي، أعربت عن قلقها، وخاصةً بشأن انقطاع المياه والكهرباء في غزة في شهر رمضان، إلا أن "إسرائيل" لم تتخذ أي إجراء عملي وفعال لوقف هذه العملية، كما ساهم الدعم غير المشروط الذي قدمته الولايات المتحدة للكيان الصهيوني في استمرار هذه العمليات.
- **اتهامات بالإبادة الجماعية على نطاق واسع:** اتهمت العديد من المنظمات الدولية، وخاصة المقررين الخاصين للأمم المتحدة ومؤسسات حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم، الكيان الصهيوني باستخدام التجويع وحصار شعب غزة كسلاح حرب. وتزايدت هذه الاتهامات، خاصةً في شهر رمضان، نظراً لتأثيراته الملموسة على المدنيين.

٦. الخاتمة والمستقبل

إن الهجمات الصهيونية المتواصلة على الشعب الأعزل في غزة خلال شهر رمضان هي مزيج من الأهداف الأمنية قصيرة الأجل، والحسابات السياسية الداخلية، وتجاهل خطير لحقوق الإنسان الفلسطيني. حتى يتم حل جذور الصراع الصهيوني الفلسطيني (مثل الاحتلال والحصار وتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني)، فإن دائرة العنف والحرب ستستمر. ولن يتسنى التوصل إلى حل دائم إلا عبر قبول حقيقة الدولة الفلسطينية والفلسطينيين، ورفع الحصار عن غزة وجميع الأراضي الفلسطينية، واحترام القانون الدولي.

* أستاذ جامعة الإمام الصادق(ع)

الهجمات الصهيونية المتواصلة على الشعب الأعزل في غزة خلال شهر رمضان هي مزيج من الأهداف الأمنية قصيرة الأجل، والحسابات السياسية الداخلية، وتجاهل خطير لحقوق الإنسان الفلسطيني